كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

تأليف : أبي عبيد البكري الأندلسي

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس في الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

تم طبع هذا الكتاب القيم ، بصدور جزئه الرابع ، حاوياً لحرف «الكاف» وما بعدها من الحروف، وفيه فهارس لأسماء البلدان والمواضع، والمياه والجبال، وللأعلام عامة، وللقوافي ، تقع في أكثر من مئتي صفحة. وضعها ورتبها الأستاذ السقا فزاد الكتاب قيمة علمية

وقد ألمعنا — في كلمة نشرتها هذه المجلة الكريمة عند صدور الجزء الثالث — إلماعة موجزة عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة . وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، وأشرنا إلى ما بذله الأستاذ السقا من جهد في سبيل تحقيق هذا الكتاب ، وصححنا بعض أغلاط وقعت فيه ، ويسرنا أن نرى الأستاذ قد أخذ بكثير من تصحيحنا حينما وضع فهرس الخطأ والصواب ، في آخر الكتاب، وإن نسب تصحيح تلك الأخطاء إلى المجلة التي نشرت التصحيح ، ولم ينسبه إلى كاتبه

وتقديرنا لما بذله الأستاذ من عناية في التحقيق ، واعترافنا بفضله ، لا يحولان بيننا وبين الإشارة إلى شيء من ملاحظاتنا على هذا الجزء ، إشارة نقصد من ورائها الخير ، من إفادة القراء في تصحيح بعض ما جاء في هذا الجزء ، مما هو بحاجة إلى تصحيح

الملاحظة الأولى :

يعنى بتحقيق النصوص ؛ الرجوع إلى مصادرها الأولى ، للتثبت من صحتها ، وللوثوق من مطابقتها لما في تلك المصادر ، والأستاذ السقا — وإن رجع إلى كثير من الكتب التي ألفت في تحديد المواضع وبيانها ، وإلى غيرها من الكتب اللغوية والأدبية ، إلا أنه قد فاته الرجوع إلى كثير من الكتب التي استقى البكري مواد كتابه منها . وهذا أمر غريب جدا من أستاذ جامعي ، يدرس مناهج التحقيق العلمي ، ويؤلف فيه ، وينقد ويناقش البحوث والمؤلفات وفق قواعده . وها هي الأمثلة :

(١) في صفحة ١٢٧٤ : (المهجم ... هو خزار الجبل المتقدم ذكره ، قاله الهمداني) كذا . فلنرجع إلى المصدر الأول — وهو الهمداني — لننظر هل قال هذا القول ؟ للهمداني — وهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك المتوفى في سنة ٣٣٤ تقريبا — مؤلفات ، طبع منها « صفة جزيرة العرب » والجزء الثامن والعاشر من « الإكليل »

وفي لهيب الروح طهرتها
من وصمة الآثام
تحت رماد الشوق أخفيتها
في معبد الأحلام
وهذه الأطياف هدهدتها
على صدى الأوهام
في اللذة الهوجاء لعنة شيطاني
في الجذوة الحمراء ! ثورة نيراني
جبلت كأسي في رماد السنين
في خمراً أتراحي
وفي دروبي ، في كهوف الحنين
أطفأت مصباحي
وفي عذاب الضارع المستكين
نادمت أشباحي
لكنني . . على صخور اليقين
حطمت أقداحي
في اللهب المجنون نثار أحلامي
في الحمأ المسنون أغرقت آثامي

عبد اللطيف الشهابي

وقد عول البكرى على هذين الكتابين ونقل عنهما ، وأكثر النقل . ومما نقل عن (صفة جزيرة العرب) كلامه هذا فى تعريف المهجم ، ولكن النقل هنا مبتور ناقص ، كقراءة من يقرأ : (فويل للمصلين) ثم يقف . وها هو نص كلام الهمدانى : (ص ١٧١ طبعة ملر ، فى ليدن وهى الطبعة الوحيدة) : (ديار ربيعة ، من العروض ونجد : الذنائب، وواردات ، وخزاز — ويقال فيه خزازى . وقد يرى قوم من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة ، من سردد ، وبلد لعسان من غك ، وأن تبعاً أقطعهم هذه البلاد ، لما حالفوه ، وهذ من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجل من أن تحالف الرعايا ، وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا فى المهجم وهى خزة : خزازى ، وفى الأنعوم الأنعمين ، وفى الذنبات : الذنائب ، وفى العارضة : عويرض) . اهـ ملخصا . وتتضح المسألة حينما نعلم أن المهجم واد فى تهامة ، يصب فى البحر ، قرب مدينة زبيد ، وأنه كان يطلق عليه اسم (خزة) ويقارب هذا الاسم (خزاز) وهو اسم لجبل فى نجد ، بينه وبين المهجم ، مفاوز وفيافى ، ولهذا الجبل ذكر كثير فى أشعار العرب ، وله يوم من أيامهم المعروفة ، بين القحطانيين ، والعدنانيين ، وقد أورد البكرى شيئاً مما ورد فيه ، عند ذكر اسمه ، فلما عرف المهجم قال بأنه هو خزاز المتقدم ، ناقلا عن الهمدانى ، بل ناسبا القول إليه . اعتمادا على الكلام الذى نقلناه آنفا ، والذى قال عنه الهمدانى إنه مبنى على وهم وهوى ، وبهذا النقل المبتور الناقص اختل المعنى ، وانعكس القصد

(٢) وفى صفحة ١١٧١ — نقل عن الهمدانى أيضا — يتعلق بمأرب ، جله مأخوذ من الجزء الثامن من كتاب (الإكليل) وهذا الجزء مطبوع مرتين ؛ مرة فى العراق ، والأخرى فى أمريكا ، ولكن الأستاذ السقا لم يرجع إلى هذا الجزء لكى يحقق النص

٣ — لعرام بن الأصبغ السلمى الأعرابى رسالة عن « تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى والمياه » وقد نقل البكرى جل هذه الرسالة ، فى مواضع متفرقة من كتابه هذا ، وصرح بالنقل منها فى مقدمة الكتاب ، وفى الكلام على « رضوى » وقد نشر هذه الرسالة العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، عضو « المجمع العلمى العربى » فى « أورنتيل كوليج مجازين Oriental College Magazine التى تصدر فى « لاهور ، الباكستان » منذ بضع سنوات ، وكان خليقاً بالأستاذ السقا الرجوع إلى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الكثيرة التى نقلها البكرى منها ، وقد يكون للأستاذ العذر فى عدم اطلاعه عليها ، ولكن ياقوت الحموى ، نقل جلها فى « معجم البلدان » والسيد السمهودى مؤرخ المدينة نقل كثيرا منها فى « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » و « المعجم » و « وفاء الوفا » مطبوعان ولا غنية لمن يقوم بتحقيق مؤلف فى تحديد مواضع بلاد العرب وأمكنتها عن الرجوع إليهما ، وإلى أمثالهما . وعدم تحقيق ما نقل البكرى من هذه الرسالة سبب كثيرا من الخلط فى تحديد المواضع ، ومن الغلط فى تلك النقول ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى صفحة ١٣٧٧ : (ورقان بفتح أوله وكسر ثانيه ، بعده قاف ، على وزن فعلان ؛ وهو من جبال تهامة ، ومن صدر مصعدا من مكة فأول جبل يلقاه ورقان) . وهذا غلط شنيع ، فورقان جبل لا يزال معروفا باسمه هذا وهو بعيد عن مكة ، وليس بأول الجبال التى يلقاها المصعد منها ، بل كل الجبال الواقعة بين مكة والمدينة هى إلى مكة أقرب منه إليها . والبكرى نقل الكلام هذا من رسالة عرام ، إلا أنه أبدل كلمة « المدينة » بكلمة « مكة » فورقان بقرب المدينة . وجاء فى هذه الصفحة : (وأهل الحجاز يسمون السماق الضمخ ، وأهل الجند يسمونه (المرتن) . والأستاذ السقا يعلم أنه ليس لأهل الجند لغة تقارن بلغة أهل الحجاز ، وأن الصواب: (وأهل نجد) كما فى رسالة عرام ، طبعة اليمنى ص ٢٧٥ من المجلة ، وعلى ذكر اللغة نرى الإشارة إلى أن قول الأستاذ السقا (ص ١٢٧١) أنطى ؛ بمعنى أعطى ، فى لغة اليمن . فيه تساهل ؛ إذ من المعروف أن هذه اللهجة لا يختص بها اليمنيون ، بل يشاركهم فيها بعض العدنانيين ، من قيس عيلان وغيرهم ، ورياح بن الأشل الذى فسر الأستاذ كلامه غنوى من قيس عيلان ، فما معنى حصر تلك اللهجة بأهل اليمن ؟

٤ — وفى ص ١٣٥٢ : (تأتى من شمنصير وذروة ... وبأعلى كلية ثلاثة أجبال صغار ، منفردات من الجبال ، يقال لها سنابك) . ولو رجع الأستاذ إلى رسالة عرام ، أو إلى الناقلين

منها غير البكرى . لوجد أن كامتى (ذروة) و (سنابك) مما تصحف على البكرى ، وأن صوابهما (ذرة) و (شنائك)

الملاحظة الثانية

يرى القارئ فى مقدمتى الجزء الأول ، والرابع فى هذا الكتاب ، تقليلا من قيمة مطبوعة المستشرق وستنفيلد ، وثناء على هذه المطبوعة ، مطبوعة الأستاذ السقا ، ومن ذلك ، من مقدمة الجزء الرابع : (أرجو أن يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التى وقعت فى تلك الطبعة .. فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتقصى الدقيق ، الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ... فهرس الأعلام يمتاز بالاستيعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له فى طبعة جونتجن ... فهرس القوافى ليس له نظير فى طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله فى دقة كاملة ... أما ما وقع من المؤلف من خطأ ، وكذلك ما وقع فى مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونبهت عليه)

للأستاذ السقا أن يصف عمله بالإتقان والجودة ، والشمول والإحاطة ، فهو جدير بذلك ، ولكن الاستنقاص ليس من صفات المنصفين ، ومطبوعة جونتجن هى أول مطبوعة من هذا الكتاب انتفع بها الباحثون ، وهى على ما فيها من أخطاء — قل أن يسلم من مثلها مطبوع عربى — على درجة عظيمة من الصحة ، وطابعها معروف بسعة اطلاعه ، وتحريه للصواب ، ولو لم يكن من فضله إلا تمهيد السبيل للأستاذ السقا ، لكفى سببا لعدم النيل من عمله ، إن لم يوجب الثناء عليه ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن كثيرا مما ظنه الأستاذ السقا خطأ فى طبعة جونتجن هو الصواب بعينه ، وقد ذكرنا شيئا من ذلك فى نقدنا للجزئين الأولين ، الذى نشرناه ، واعتمد عليه الأستاذ فى تصحيح الأخطاء ، ومن الأمثلة ، مما فى هذا الجزء :

(١) ص ١٣٣٣ : (وتجتمع سيول العقيق وبطحان وقناة بالرعابة) وقال الأستاذ فى الحاشية : فى طبعة جونتجن (الزغابة) وقال : إنه تصحيف . والتصحيف هو ما اختاره الأستاذ ، إذ مجتمع سيول تلك الأودية : (الزغابة) بالزاى المضمومة ، فغين معجمة ، فألف ، فباء موحدة فهاء (انظر هذه المادة من « وفاء الوفا ج ٢ » (معاجم اللغة والمواضع)

(٢) ص ١١٥٠ : (ضم القنان لقمص سوءاتها) والصواب ما فى طبعة جونتجن : (ضمن) — راجع مادة « القنان » من « معجم البلدان »

(٣) وفى ص ١١٤٤ : (ديار سعد بن هذيم) . وقال السقا: ابن ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ، لأن سعدا هذا حضنه عبد حبشى يقال له هذيم ، فغلب عليه فقيل : سعد هذيم ، وليس هذيم أبا لسعد . (انظر المقتضب من جمهرة النسب « ورقة ١٠٥ / ١ مخطوطة دار الكتب المصرية)

(٤) وفى ص ١٢٢٧ : (السلح : بكسر أوله ... منزل على أربعة أميال من مكة) . وفى طبعة جونتجن : (أيام) مكان : (أميال) وهى الصواب ؛ قال الهمدانى — فى « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ — : ومن أخذ الجادة من مكة إلى معدن النقرة ، فمن مكة إلى البستان ٢٥ ميلا ، ومنه إلى ذات عرق ٢٤ ميلا ، ومنها إلى النمرة ٢٠ ميلا ، ومنها إلى السلح ١٧ ميلا) . ا . هـ ملخصا . وهذا من أدق التحديد ، فى بعد هذا الموضع عن مكة ، ومن أوضح الأدلة على أن المسافة بينها وبينه أربع (ليال) لا (أميال)

(٥) وفى ص١٢٧١ : (منعج : بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة ، وجيم معجمة) وكلمة (معجمة) لامحل لها . إذ كلمة (الجيم) لا مشابه لها من الحروف فى صورتها . لكى تمر بالإعجام ، وهى ساقطة من طبعة جونتجن

(٦) وفى ص ١٢٨٥ : (الحضرى : هو عبد الله بن عماد ابن سليمان) وفى مطبوعة جونتجن (سلمى) ولعلها أصوب . إذ هذا الاسم هو المعروف بين العرب الجاهليين . بخلاف سليمان . فهو وإن اشتهر بين أهل المدن فى العهد الجاهلى ، قليل بين البدو (وانظر ترجمة « العلاء بن الحضرى » فى الأعلام للزركلى) ولعل فى هذا القدر كفاية

البقية فى العدد القادم

محمد الجاسر